

Asālib al-Ma'āni fī al-Ṣaḥīfah al-Sajādiyyah; al-Taḥlīl fī Dirāsah al-Balāgh

أساليب المعاني في الصحيفة السجادية: دراسة تحليلية بلاغية

Ibrahim Adam Wushishi¹, Fatemeh Ghaderi²

¹Federal University Dutsin-ma Katsina; Nigeria

²Yazid University; Iran

Correspondence e-mail; 9755945@stu.yazd.ac.ir, ghaderi_m@yazd.ac.ir

Submitted: 03/02/2023

Revised: 18/04/2023

Accepted: 01/08/2023

Published: 15/08/2023

Abstract

This is a paper entitled "The Methods of Meanings in Sahifa al-Sajjadiyah: an Analytical Rhetorical Study," which aims to reveal the methods of meanings in this aforementioned paper and reveal the power of expression and the rhetorical jokes that lie behind his expressions, peace be upon him. As well as the connotations of words, as they were in the era when the Imam used to deliver these words and sayings, and this sheet is filled with examples of these, such as the connotation of a word on the meaning in its utterance. And on the meaning in its sense that agrees or disagrees, or on the meaning according to the requirement. The general expression indicates the generality of its individuals, and the general expression indicates an individual that is not specific among its individuals, and the general expression is subject to restriction by any of the restricted words. The wording of the imperative requires a firm request. Finally, the most important results reached by this research come, and thus we can give a clear idea of the stages that the journey of rhetorical research passed through, the movement of semantics and its methods in Sahifa al-Sajjadiyyah, and the rhetoric movement in ancient and modern times. Thus, you discover the great role that the newspaper played in the field of scientific rhetorical research. The science, culture, thought and literature they provided to human civilization has benefited humanity - without a doubt - throughout its journey extending from the beginning of rhetoric until the beginning of the modern era. May God grant success and guidance to the straight path.

Keywords

Analytical, expressive, rhetorical, sajjadi, semantic, styles.



© 2023 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY NC) license (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/>).

المقدمة

إن الدراسات البلاغية من أدق الدراسات التي اهتم به المتقدمون والمتأخرون له واسع المعالم وميدان الرحب يغوصون فيه جميع أصحاب الفنون فلا تجد فن يستغنى عنه لأنه يجمع في طياته مرمى أصحاب الكلام كما أنه يضبط لأصحاب الأقلام وكيفية وضع أقلامهم فإنه يتضمن فيه سحر الكلام وأسراره وبه يبلغ أصحاب الحوائج حاجاتهم كما أنها وسيلة لنيل المطالب والمقاصد وبها يستعطف ويستعذر أصحاب الأخطاء.

فكان العلماء والدعاة يعرفون ذلك جيداً فكانت كتبهم مملوءة بفنونها، كما أن الزهاد والدعاة يدعون الله عن طريق أسرارها ومن هؤلاء إمام زين العابدين حيث أسرف ذمام دعوته في هذا المجال بحيث تراه يغوص في علم المعاني تارة وفي علم البيان والبديع تارة أخرى. فكان كتابه المسمى " الصحيفة السجادية " ميداناً للبلغاء ومرتعاً لأصحاب البيان حيث يتقلبون فيه بين حين وآخر يتناولون ما فيه من الأسرار والكنوز.

و بصدد تناول كتابه لنرى ما يكتنزه من الأسرار وما يندثر فيه من المعاني، فكان علم المعاني من أقسام علوم البلاغة حيث يعرف عن طريقة أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال، فتختلف صور الكلام لاختلاف الأحوال.

فهذه الوريقات تخضع لتناول دعائه عليه السلام وفحص ما فيها من أسرار وأساليب المعاني دعاء بعد دعاء سائلاً مولى عز وجل أن يبلغ مرادي إنه وراء النوايا والقضايا وعليه التكلان. وتخضع هذه الوريقات تحت العناوين التالية :- دعاؤه عليه السلام في التحميد لله عز وجل والثناء عليه، دعاؤه عليه السلام في الصلاة على محمد وآله، دعاؤه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش، دعاؤه عليه السلام في الصلاة على مصداق أتباع الرسل ومصدقهم، دعاؤه عليه السلام لنفسه وخاصته، دعاؤه عليه السلام في الصباح والمساء. في المهمات دعاؤه عليه السلام في الاستعادة، دعاؤه عليه السلام في الاشتياق، دعاؤه عليه السلام في اللجوء إلى الله تعالى، دعاؤه عليه السلام بخواتم، دعاؤه عليه السلام في الاعتراف، دعاؤه عليه السلام في طلب الحوائج، دعاؤه عليه السلام في الظلمات، دعاؤه عليه السلام عند المرض، دعاؤه عليه السلام في الاستقالة، دعاؤه عليه السلام على الشيطان، دعاؤه عليه السلام في المخدرات، دعاؤه عليه السلام في الاستسقاء، دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق، دعاؤه عليه السلام عند الشدة، دعاؤه عليه السلام بالعافية، دعاؤه عليه السلام إذا ابتلي أو رأى مبتلى بفضيحة أو ذنب، دعاؤه عليه السلام في الشكر، دعاؤه عليه السلام في الاعتذار، دعاؤه عليه السلام في طلب العفو، دعاؤه عليه السلام عند ذكر الموت، دعاؤه عليه السلام في طلب الستر والوقاية، دعاؤه عليه السلام عند ختم القرآن، دعاؤه عليه السلام إذا نظر إلى الهلال، دعاؤه عليه السلام في دخول شهر رمضان، دعاؤه عليه السلام في وداع شهر رمضان، دعاؤه عليه السلام في العدين ويم الجمعة، دعاؤه عليه السلام في يوم عرفة، دعاؤه عليه السلام في يوم الأضحى والجمعة، دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء، دعاؤه عليه السلام في التضرع والأستكانة، دعاؤه عليه السلام في التذلل لله عز وجل.

منهج البحث

يشكل هذا البحث بشكل البحث النوعي على صيغة مكتبية. يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي يحاول إظهار مواقف المعاني في هذه الصحيفة بحيث يصفها ويحللها من خلال الأمثلة. المحور الأول : مفهوم الأسلوب، المحور الثاني التعريف بالإمام علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، المحور الثالث : نماذج من التحليل في تعبيراته. وهذه كلها من بيانات البحث التي تحلل بطريقة تحليل النص.

نتائج البحث والمناقشة

دعائه عليه السلام في التحميد لله عز وجل والثناء عليه

الحمد لله . ابتدأ الكتاب بالمدح على الله سبحانه وتعالى. والمدح أمر يحتاج إلى الإطناب ، والإطناب: زيادة للفظ على المعنى لفائدة. إنهم كالأنعام فالملاحظ من هذه الآية أسلوب القصر بطريقة النفي والاستثناء. في الآية المقصور والمقصور عليه. والغرض من القصر:- هو تمكين المعنى وتقريره في ذهن السامع. القصر أيضا بأداة من أدواته ألا وهي النفي والاستثناء. (لم يكلفنا إلا وسعاً) (ولم يجمشنا إلا يسراً) والغرض منه تقرير المعنى في ذهن السامع.

ذكر العام بعد الخاص. وذلك في قوله: (ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا وعلى جميع عباده الماضين والباقيين). والغرض البلاغي من ذكر العام بعد الخاص لفائدة العموم مع العناية بشأن الخاص. في هذا الدعاء (اذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه) موقف تذلل النفس وتقليل شأنها فهو موقف يحتاج إلى التطويل لذلك ترى الإمام تتبع وسيلة الإطناب لإثبات الثناء على الله ومن ذلك قوله (بلا أول كان قبله - بلا آخر كان بعده - الناظر - الواصفين - بطيبات من الرزق - وأغنانا بفضل - حمدا لا منتهى لحده - ولا حساب لعدده - مبلغ لغايته - ولا انقطاع لأمد) فبإمكان الإمام أن يقف قبل تلك الصفات ولكن زادها إطنابا وتلذا بمناجاته سبحانه، وكذلك دور المقابلة كما في قوله (تأخير عما قدمهم - تقدما إلى ما أخرهم).

كما أنه عليه الصلاة والسلام اقتفى طريقة القصر لإثبات بعض الصفات لله تعالى لا إلى غيره كقوله (الحمد لله الذي أغلق باب الحاجة إلا إليه) فلو قال (الحمد لله الذي فتح باب الحاجة إليه) لأوهم السامع وجود بعض الأبواب ولكن أسلوبه أدق وأبلغ وأنسب لمقام المدح والثناء (وكذلك قوله (ولم يكلفنا إلا وسعاً - ولم يجمشنا إلا يسراً).

دعائه عليه السلام في الصلاة على محمد وآله

إن الصلاة على النبي أمر عظيم وشأنه جليل فهي وسيلة يتقرب به العباد إلى الله تعالى، فلا يتم هذه العبادة إلا بالتذلل والخضوع أمام الخالق سبحانه وتعالى فهو موقف يحتاج إلى التطويل وإنفاق كثير من الوقت لذلك كان عليه السلام تتبع طريقة الإطناب كقوله (الأُم الماضية - القرون السالفة - أمينك على وحيك - ونحيبك من خلقك - وصفيك من عبادك - في عقر ديارهم - ملك مقرب - ولا نبي مرسل) فصار ذلك

الإطناب مقتضاه التلذذ عند مخاطبه لخالقه سبحانه وتعالى. " اللهم فارفعه:- إرفعه أمر أصله طلب الفعل على وجه الإستعلاء لكن هنا خرج من صفته الأصلية إلى صفة أخرى تستفاد من سياق الكلام الا وهو الدعاء. الأمر إذا من الأدنى إلى الأعلى فلا يسميه بالأمر وإنما يسمى بالدعاء.

دعائه عليه السلام على حملة العرش

إن الإمام عليه السلام في هذه الدعاء استخدم الفعل بدلا عن الاسم ليدل دلالة واضحة على استمرار الأمور وتجدها من جانب الملائكة كما في قوله (لا يفترن - لا يسأمون - لا يستحسرون - ولا يؤثرون - لا يغفلون) أما عندما يحتاج الأمر إلى الثبوت والدوام استخدم الإمام الاسم بدلا من الفعل كما في قوله (المستهترون بذكر آلائك - المتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك) وقوله (خذوه فغلوه) ضمن الإمام هذه الآية في هذا الدعاء، هنا الإنشاء الطلبي. إن الأمر في خذوه وهو طلب الفعل على وجه الإستعلاء.

دعائه عليه السلام في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقهم

في هذه الدعاء، دعا رضي الله عنه على اتباع الرسل ومصدقهم وتتبع طريقة ووسيلة ليدل على أن المراد به هؤلاء الذين أوفوا ما وعد رسلهم ولم يرتدوا أو ينقضوا العهود، واستخدم الاسم بدلا من الفعل الذي من دلالة هو الثبوت والدوام، فكان استخدام الاسم في هذا المجال أدق من استخدام الفعل وكان ذلك واضح في قوله (منظرين على محبته)

دعائه عليه السلام لنفسه وخاصته

إن الصالحين والرسل واتباعهم كانوا يهتمون لبعض الناس كما يهتمون لأنفسهم ولم يختلف الإمام عن بقية الصالحين فإنه يهتم بشأن خاصة واتباعه. وعلى هذا الغرار هذا الدعاء حين يدعوا الله لنفسه وخاصته، وقد اقتفى الإمام وسائل متنوعة ليصل إلى غايته وينال من الله الرضا والقبول ومن طرائق التي تتبعها الإمام أنه استخدم أسلوب النداء للتي للمنادى البعيد على الله ولكن يراد به عظمة الله ومكانته فإن الله لا يبعد عن الداعي وبذلك نعرف أن المراد بحرف النداء هي العظمة. ولا يخفى ما في هذه الدعاء من الطباق كما في قوله (كد لنا ولا تكد علينا - وامكرنا ولا تمكر بنا - وأدل لنا ولا تدل منا) كل هذه أسلوب أمر يراد به الدعاء. وكذلك القصر في قوله (إنما يكتفى المكتفون بفضل قوتك وإنما يعطى المعطون من فضلك جرتك وإنما يهتدي المهتدون بنور وجهك) . إبتدأ بياء- والياء في الأصل استعملت في نداء البعيد، لكن قد تأتي خلاف الأصل لغرض بلاغي الا وهو إشارة علو مرتبة المنادى وارتفاع شأنه. كما أتى هنا قال عليه السلام : يا من لا تنقضي عجائبه عظيمته. فالدعو هنا هو الله عز وجل. فالله قريب لقوله عز وجل في كتابه العزيز. ((وإذا سألك عبادي فأني قريب)) وقوله ايضا ((هو أقرب إليه من حبل الوريد)) لكن أتى هنا لتظهر مرتبة المناد وعلو شأنه عز وجل. اللهم لك الحمد:- فيه تقديم ما حقه التأخير. والغرض منه تخصيص الحمد على الله عز وجل فقط فكأنك قلت ليس هناك من يجدر بالحمد إلا الله فقط.

دعاؤه عليه السلام في الصباح والمساء

لقد تتبّع الإمام وسيلة لينال من الله الرضا ومن تلك الوسائل طريقة البديعية وغيرها حيث عبر الإمام حاجته لمولاه وبث له شكواه وكان دور البلاغة سحر البيان حيث تجذب العقول وتأسرها. فهي وسيلة لنيل المبتغاه. ومن طريقة التي تتبعها الإمام طريقة الطباق نحو (الليل والنهار - دنياهم وأخراهم - أسأؤوا وأحسنوا - ساكنه ومتحركه - صغيره كبيره - أيدينا خلفنا - أيماننا شمائلنا - يومنا ليلتنا - سماءك وأرضك) ومن ذلك المقابلة كما في قوله (خلق لهم الليل ليسكنوا فيه خلق لهم النهار مبصرا ليتبنوا فيه - أجزل لنا فيه من الحسنات وأخلنا فيه من السيئات - لاستعمال الخير وهجران - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - لا فاتح لما أغلقت ولا مغلق لما فتحت) كل هذه مقابلة تزين الكلام وترتيبه لأن الله سبحانه جميل يحب الجمال.

كما أن هذه الدعاء أسلوبها متين وسبكها قوي لذلك تجد فيها كمال الاتصال كما في قوله (صلح شأنهم ويبلوا أخبارهم ، إن أحسننا ودعنا بحمد وإن أسأنا فارقنا بدم) . الدعاء السابع والثامن للإمام عليه السلام: افتتح الإمام بحرف النداء. والنداء هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعوا، وأمّا في الثامن كثر فيه صفة الدعاء وهو الأمر الذي خرج من أصله.

دعاؤه عليه السلام في الاستعاذة والاشتياق

لقد اشتهد اهتمام الإمام في مجال البناء حيث استخدم أسلوب المتين القوي فترى أسلوبه دقيق متين تجد دعاءه وخاصة هذه الدعاء وهي دعاء الاستعاذة تجد قوة السبك ومتانة الأسلوب ومما يدل على ذلك أنه يكثر في تركيباته كمال الاتصال كما في قوله (ونعوذ بك من شماتة الأعداء ومن الفقر إلى الأكفاء - ومن معشية في شدة وميتة على غير عدة - ونعوذ بك من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى) وغير ذلك من كمال الاتصال أو الانفصال. كما أنه عليه السلام استعان ببعض المقابلة لجلب المعاني وتجلي المقاصد ومن ذلك قوله (أن نعصد ظالما أو نخذل ملهوا) .

دعاؤه عليه السلام في اللجأ إلى الله تعالى: ذكر الإمام في مقطعة الأخير من هذا الدعاء " ولا تشمتة " النهي وهو في الأصل عن الفعل على وجه الاستعلاء. للنهي صفة واحدة هي المضارع مع لا الناهية. لكن هنا قد خرج عن حده الأصلي وهو الدعاء وذلك إذا كان الطلب من الأدنى إلى الأعلى. دعاؤه عليه السلام بخواتيم الخير: ابتدأ بحرف النداء، (يا من ذكره) وهو طلب الإقبال والياء في الأصل أن يدعوا بها البعيد والله قريب إلى العبد، إذا خرجت عن معناها الأصلية لغرض بلاغي آلا وهو اظهار عظمة الشأن ورفع المرتبة حتى كأن بعد درجته عزّ وجلّ في العظمة عن درجة المتكلم بعد المسافة.

دعاؤه عليه السلام في الاعتراف

إن الاعتراف بالذنب يحتاج إلى ابداء الندامة وإظهار الحسرة أمام من تعترف بخطأك فهذا إمام يتبع وسيلة ليصل إلى مبتغاه من رضا خالقه فتتبع وسائل الحسر عن طريق الاستفهام ومن ذلك قوله (فهل ينفعني يا إلهي إقرارى عندك بسوء ما اكتسبت - وهل ينجيني منك اعترافي لك بقبيح ما ارتكبت) فكل هذه

الاستفهامات يراد به ابداء الحسرة والندامة . كما أنه تتبع وسيلة الاطناب ليصل إلى غايته ويعتطف خالقه ومن ذلك قوله (ما أنا بأول من عصاك فغفرت له وما أنا بأول من اعتذر إليك فقبلت منه فكل ذلك إطناب ويراد به استرحام) ففي قوله (فإنك ملئ بالعفو مرجو للمغفرة معروف بالتجاوز) فهذا ما يسمى كمال انفصال . (فهل ينقصني يا إلهي اقرار عندي بسوء ماكتسبت ؟ فيه الاستفهام بـ (هل) وهل يطلب بها التصديق ؟ وهنا الاستفهام يفيد التوبيخ ، لأنه يريد إدراك نسبة النعمة من قبل الله عز وجل مع اقراره بسيئة يريد أن يعرف هذه النسبة منفية أم مثبتة . فالإجابة هنا تكون بـ (لا) إن كانت النسبة منفية وتكون بـ نعم إن كانت مثبتة .

دعاؤه في طلب الحوائج

طلب الحوائج من صفات الضعفاء فمثل هؤلاء يتبعون أي وسيلة لنيل مطالبهم وكان طريقهم تذلل أنفسهم أمام من كانت حاجتهم عنده ، والأمام ليس وحيدا من هذا النوع بل تتبع طريقة من سبقوه فقد تتبع وسيلة النفي والإثبات ليثبت بعض الصفات لله جل وعلا فهذا من طريق القصر نحو (من يستغني ولا يستغني عنه - يرغب إليه ولا يرغب عنه) كما أنه تتبع طريقة الاستفهام تعجبا ونكارا لهؤلاء الذين يرون أن حاجاتهم عند غير الله كما في قوله (كيف يسأل محتاج محتاجا وأنى يرغب معدم إلى معدم) ولا يكفي ما في هذه الدعاء من عودة السبك ومتانة الأسلوب حيث عبارته وجملته كاملة فتجد بين جملته كمال الاتصال كما في قوله نحو (يا منتهى مطلب الحاجات ، يا من عنده نيل الطلباتن - وهي زلة من زلل الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين وغير ذلك من الجملة التي بينها كمال الاتصال وكذلك الاطناب كما في قوله (صلاة دائمة نامية لانقطاع أبدها ولا منتهى لأمدها) . دعاؤه عليه السلام إذا مرض أو نزل به كرب أو بلي : قوله (اللهم لك الحمد) فيه قصر من طريقة التقديم ما حقه التأخير الذي فيه يكون المقصور عليه هو المقدم .

مقصور عليه هو جار ومجرور (لك) مقصور هو الحمد (الحمد) وما إفادة القصر هنا هو التخصيص . أي تخصيص الله بالحمد فقط ، وهو قصر حقيقي لأنه ليس هناك من يستحق بالحمد حقيقة إلا الله فقط . (أي) الحاليين أحق بالشكر لك ، وأي الوقتين أولى بالحمد لك . أتى بالاستفهام بأداة من أدواته ألا وهي (أي) التي يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما . لكن هنا طلب بها تمييز الحال بين الحاليين ، وتمييز الوقت بين الوقتين .

دعاؤه عليه السلام في المحذورات

إن الإمام استخدم أسلوب النفي في الدعاء في قوله (فلا تجعل حظي من رحمتك ما عجلت لي من عافيتك) اعترافا بأنه يستحق ذلك ولكن يدعوا الله أن يرفع عنه وكذلك في قوله لا تجعل ظله علينا سموما برده علينا حسوما صوبه علينا رجوما ماءه علينا أجاجا) . كما أن دعاءه فيها شيء من الإيجاز كما في قوله (تملأ منه الجباب ترخص به الأسعار ... وتدر به الضرع) .

دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق

إن مكارم الأخلاق مما يفتخر به الصالحون ويتباهي به المؤمنون من أهل الطاعة والزلفى فهي فخرهم الدعاة، وسيلة من وسائل إجابة الدعاء لذلك خص الإمام هذه الدعاء في مكارم الأخلاق فقد تتبع وسيلة ليرضى ربه من ذلك وسيلة كمال الاتصال مما أعطى هذه الدعاء متانة السبك كما في قوله (وبلغ بإيماني أكمل الإيمان - واجعل يقيني أفضل اليقين) وكذلك التقديم والتأخير في قوله (وصحح بما عندك يقيني - واستصلح بقدرتك ما فسد مني - في رجاء رحمتك أمني - وسهل إلى بلوغ رضاك سبلي) كما أنه قد دعا بنفي بعض الصفات عن طريق النفي والإثبات في قوله (اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا اصلحتها) ولا يخفى ما في الدعاء من المقابلة في (أشكر الحسنة أغضي عن السيئة) وكذلك الطباق في قوله (أضلن ، هدايتي - افتقرن وسعي) .

دعاؤه عليه السلام عند الشدة

إن هذا المقام مقام ألم ووجع فكان عادة النفس تحتاج إلى من تبث له شكواه وتنفس ألومه فقد يثب الإمام شكواه إلى مولاه فقد تتبع الإمام وسائل متعددة ليصل إلى غايته ومبتغاه فكان من وسائل التي تتبع سحر الكلام وغيره ففي هذا المقام ومن أساليب الذي استخدمه الإمام أسلوب الطباق (والغضب ، الرضا - الخوف والأمن - الرضا والسخط - الضر والنفع - الحسنات والسيئات) وغيرها. كما أن هذه الدعاء عامرة بأنواع أخرى من أساليب المعاني كما في قوله من كمال الانفصال نحو (ارزقني خوف غم الوعيد - وشوق ثواب الموعود) .

دعاؤه عليه السلام إذا ابتلي أو رأى مبتلي بفضيحة أو ذنب

إن الإمام كدأبه استخدم أسلوباً يروق فؤاده ويجلب رضا خالقه ومن أساليب الذي استخدمه مجازات ومن ذلك قوله (كم نهي قد أئيناه) هو الاستفهام لكن يراد به كثرة أي كثير من المنهيات التي نهيتنا ارتكبتها، فقد عدل عن جملة الفعلية إلى جملة الإسمية لدلالة على الثبوت والدوام كما في قوله (إنا إليك راغبون ومن الذنوب تائبون) فدل هذا على دوام التوبة إلى الله والرغبة إليه).

دعاؤه عليه السلام في الشكر

إن من حق النعم الشكر عليها فلا يتم ذلك إلا إذا اعترف العبد بها فكان الإمام ملعا بهذه المعلومة جيدا لذلك جول في هذه الدعاء واستخدم أساليب المتنوعة للمعاني ليثبت واعترف بما أسبغه الله عليه من النعم، فكان تعبيراته تدل على عجزه عن شكر مولاه واستخدم أساليب القصر من النفي والإثبات كما في قوله (إن أحدا لا يبلغ من شكر غاية إلا حصل عليه من إحسانك - ولا يبلغ مبلغا من طاعتك وإن اجتهد إلا كان مقصرا) فدل هذا القصر على مدى اعتبار الإمام بما أسبغ الله علي عبادته من النعم. ولم يستغني الإمام عن ذلك بل جعل دعائه مسبوكة ماسكة الأطراف حيث ترى دعاؤه تجمع في طياتها كمال الاتصال حيث ترى يربط جملته بالواو كما في قوله (أوجبت عليه ثوابهم وأعظمت عنه جزاؤهم - ملكت يا إلهي أمرهم قبل أن يملكوا عبادتك وأعددت ثوابهم قبل أن يفضوا فيطاعتك - فتباركت أن توصف إلا بالإحسان وكرمت أن يخاف منك

إلا العدل – لا يخشى جورك على من عصاك ولا يخاف إغفالك ثواب من أرضاك) كما أن الإمام اقتفتى بعض وسائل لثبت بعض السمات لله تعالى فنزل خال ذهن متردد كما في قوله (وذلك أن سنتك الإفضال – فكل البرية معترفة بأنك غير ظالم لمن عاقبت – وشاهد بأنك متفضل على من عافيت) فبإمكان الإمام أن يقول (وذلك سنتك الإفضال- فكل البرية معترفة بك غير ظالم لمن عاقبت – وشاهد بك متفضل على من عافيت) دون استخدام المؤكدات لكن الإمام استخدمه لما في حال الناس من الجهد والإنكار التي تفهم لسبب عصيانهم. فمن أساليب المعاني التي تحتوي هذه الدعاء أسلوب التعجب التي هي صيغة الاستفهام ويراد به التعجب كما في قوله (فسبحانك ما أبين كرمك في معاملة من أطاعك أو عصاك – فمتى كان يستحق شيئا من ثوابك ؟ لا ! متى ؟ هذا يا إلهي حال من أطاعك)

دعائه عليه السلام في الاعتذار

إن الاعتراف بالذنوب كرم ومنة كرم الله لمن رزقه فهي حوّة المتواضعين وآلة المخطئين فلا بد لها من آلة التي يستخدمه المخطئ لينال العفو ممن يعتذر عليه، ومن تلك آلات توضيح الكلام وترتيبه واعتراف بفضل المعتذر عليه.

ومن وسائل التوضيح الذكر مع الإمكان الحذف كما في قوله (اعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره – ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره – ومن حق ذي حق لزمي لمؤمن فلم أوفره – ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره) فكل ذلك بإمكان الإمام أن يحذفه فيكون الكلام مستقيما دون خلل على هذا النحو (اعتذر إليك من مظلوم فلم أنصره- ومن معروف فلم أشكره – ومن مسيء فلم أعذره – ومن ذي فاقة فلم أوثره – ومن عيب مؤمن فلم أستره – ومن كل إثم فلم أهجره) لكن ذكر تلك الكلمات أو الجمل توضيحا، لكن هناك بعض الكلمات عدم ذكرها أدق وأبلغ من ذكرها كما في قول الإمام (سألني – لزمي) فإن ذكر هذه الجمل يخص الصفات بوقّة معين أو لحال معين حيث حال الكريم لا يحتاج إلى من سألّه قبل أن يعطيه فكان أبلغ تعبير هو (ومن ذي فاقة فلم أوثره) فإنه أدق وأشمل من (ومن ذي فاقة سألني فلم أوثره).

دعائه عليه السلام في طلب العفو والرحمة

الاعتذار وطلب العفو والرحمة سيان فلا ينفكان لذلك رد الإمام هذا الدعاء مع ذاك واقتفى الإمام أثره في دعائه في الاعتذار فوجد في هذا الدعاء كمال الاتصال كما في قوله (فإن قوتي لا تستقلّ بنقمتك، وإنّ طاقتي لا تنهض بسخطك – وإنّك إن تكافنتي بالحق تهلكني وإلا تغمدني برحمتك توبقني) كذلك في هذه الجملة إيجاز الحذف في قوله (وإلا تغمدني – أي إلا تكافنتي بالحق تغمدني برحمتك) ومن كمال الاتصال قوله (استوهبك يا إلهي ما لا ينقصك بذله واستحملك ما لا يبهظك حملة - إلهي بمن خوفه منك أكثر من طعمه فيك وبمن يأسه من النجاة أوكد من رجائه للخلاص) أما قوله (فكم قد لحقت رحمتك بالمسيئين – وكم قد شمل عفوك الظالمين) والاستفهام في هذه الجمل استفهاما مجازيا يراد به التكثير.

الخلاصة

ظهر الإمام كنزا زاخرا بالعلم والمعرفة، ما بين علوم اللغة وفنون الأدب وما بين علوم الشريعة والتفسير وأحكام القضاء والإفتاء، ودواوين الحكم والإدارة، متقنا للغات الحيّة في عصره، فقد كان عالماً وموسوعاً في اللغات كالتركية والفارسية، قارئاً ومتحدثاً وكتاباً بها جميعاً. تجلّى الإمام عالماً موضوعياً ممسكاً بخيوط كلامه فلا يستطرد بعيداً، ولا يمزج علم بما ليس منه، ويعرض المسائل بأسلوب رصين بارع، وبلغة سلسلة فخمة، تكاد تشكل لوحة أدبيةً بديعة، يفرشها بألوان زاهية وخيوط من أساليب السهل الممتنع.

وجد الباحث الإمام إزاء نظم صحيفته الشريفة معجبا مهوراً، متفكراً في ألفاظه وجمله، متدبراً في نسقه، متأملاً في حسنها وجمالها، وفي دقة اختيارها واستقرارها في مواقعها، وفي قوّة دلالتها على المعاني، القرينة منها والبعيدة ممّا لا طاقة لأحد به، يفسّر ويحلّل، يوضح ويعلّل، فجاء كتابه هذا كنزا زاخرا بالتطبيقات البلاغية، يمكن معها القول إنّها الأوسع والأشمل حتى حدود عصره، وهو تفوق علمي يسجل بكلّ فخار، ويدوّن له على خارطة الدراسات المعاني حول الصحيفة السّجادية الكاملة. ومثل ذلك يقال، في كثرة العناوين البلاغية والمسائل المتنوعة التي أثارها، سواء تعلق الأمر باستخدام الأدوات وبيان الفروق الدقيقة الكامنة فيها، أو توظيف أحرف الكلمة والألفاظ والتراكيب وأنواع الجملة، للوفاء بالمعنى بكلّ معنى الكلمة.

اعتنى الإمام سرّ التقديم والتأخير بين كثير من المعاني المتعاطفة في السياق، ممّا رؤى- من الناحية العقلية المجردة- أنّه يصحّ أن يتقدّم المتأخّر أو يتأخّر المتقدّم، مثل: تقديم ذكر الإثم على المنفعة، وتقديم ذكر المفسد على المصلح، وتقديم ذكر السنّة على التّوم، وتقديم ذكر الليل على النهار، والسرّ على الجهر، وتقديم ذكر الأموال على الأولاد، وكشف فيها عن معان بديعة وأسرار بالغة الدّقة، عظيمة المتعة والمنفعة. وفيما يتعلق بالتقديم والتأخير، اكتفى الإمام - إلا ما ندر- بالكشف عن دلالاته على معنى القصر والحصر في مواقع غير قليلة، وبالقول بحكمة الاهتمام بالمقدم والتشويق بالمؤخر في مواطن كثيرة، وأنّ النفس دائماً تهتمّ بالمقدّم وتتشوّق إلى المؤخر، وهو سرّ الأسرار عنده في التقديم والتأخير، خاصة في متعلقات الفعل، وهي نكتة رأي الإمام عبد القاهر الجرجاني، أنّها لا تكتفي غليلاً ولا تشفي مريضاً، حتى يتبين من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهمّ؟ حاولنا جاهدا كشف القناع ووجه العناية وجه العناية وسبيل الاهتمام.

المراجع

الصحيفة السّجادية الكاملة: دار ومكتبة البصائر بيروت لبنان.

شرح الصحيفة السّجادية للسيد محمد الحسيني الشيرازي: دار العلوم لبنان.

أساليب المعاني في تفسير أبي السعود.

الدلالات البلاغية لوظائف شبه الجملة السياقية

بلاغة التقديم والتأخير في خطبة الأشباح، عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي، ماجستير ادب اسلامي/جامعة الكوفة/ مركز دراسات الكوفة.

الفصل والوصل في الربع الأخير من القرآن الكريم، (دراسة بالغة تطبيقية) تيسير الوسيلة محمد علي.